تطوير حرفة النحاس فى القاهرة

نهى نبيل فهمى

مقدمة

عرف المصريون القدماء معدن النحاس و إستخدموة فى صناعة أدواتهم " فمقابرهم ضمت الكثير من الأدوات التى كان النحاس مادتها الخام وعلى الرغم من أن طرق النحاس وسحبة وتشكيلة كان يتم يدويا فإن ما تركة المصريون القدماء كان يحمل نقوشا مدهشة تدل على دقة الصنع"[1] . فقد أبدع المصرى القديم فى صناعة أدواتة اليومية من معدن النحاس و" عثر فى مقبرة الملكة (حتب حرس) والدة الملك خوفو على المحفة ذات الزخرف البسيط والخلاخيل وأدوات الغسيل والزينة المصنوعة من الذهب والنحاس ،على أن هذة الدقة والروعة الحرفية لم تكن قاصرة على أدوات الملوك والملكات بل إمتدت إلى الطبقة الوسطى بما يعطى دلالة على أنة قد ولد فى هذا العصر نظام حرفى بمعناة الإبداعى والإقتصادى والتجارى"[2].

وقد برع المصريون في زخرفة المشغولات النحاسية في العصر القبطي ثم العصر الإسلامي الذى إزدهرت فية حرفة النحاس بشكل كبير. فقد إتجه الفنان المسلم إلي إستخدام النحاس كبديل للذهب فى صناعة بعض أدوات الحياه تماشيا مع العقيدة الإسلامية التى تدعو للإقتصاد والزهد وعدم المبالغه فى الإنفاق. كما صنعت من النحاس أدوات حربيه كالسيف والبلطه والخناجر و الدروع والتروس والخوذات وواقيات الأيدى والأرجل. ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بالعديد من روائع التحف النحاسية المنتجة في مصر مثل وسائل الإناره والشمعدانات وأدوات الفلك " الإسطرلاب " والأطباق والصوانى والصدريات والفناجين و الحلى وغيرها من أدوات الحياة التى برع الحرفيين فى مصر فى صناعتها.

إشتهرت القاهره بإنتاج أروع المشغولات النحاسية على مر العصور وحتى الآن. وعرفت قديما بقاهرة المعز نسبة للمعز لدين الله الفاطمي الذي أسسها وبناها. إنها تجمع في جنباتها عبق الماضي وروعة

---

[1] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية، ص29.
موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية (2004): عايدة خطاب ،المصاغ الشعبى الجزء الأول، ط1، جمعية
[2] أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ص11.

الحاضر. بما تتضمنة من مبانى ومعالم أثرية و ورش للحرف التقليدية التراثية والصاغة والنحاسين وشارع المعز لدين الله الفاطمي.

وتعد حرفة الطرق على النحاس التى أبدع فيها الفنان المصرى من أهم الحرف التراثية التى يجب الحفاظ عليها من الإندثار وتنميتها. وقد مرت منطقة البحث بالعديد من التغيرات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية التى أثرت على الحرفة والحرفيين ومنتجاتهم من المشغولات النحاسية.

وفي هذة الدراسه ستقوم الباحثة بدراسة ورصد التغيرات التى طرأت على حرفة الطرق على النحاس بمحافظة القاهرة التى إشتهرت بإنتاج أروع المشغولات النحاسيه على مر العصور المختلفه وحتى الآن.

مشكله البحث:

1- دراسة التغير في المشغولات النحاسيه في منطقه البحث حيث أنها مرت بالعديد من التغيرات عبر العصور المختلفة وحتى الآن.

2- هناك عوامل عديده أثرت علي الحرفه والحرفيين ومنتجاتهم وهددت بتراجع وإندثار الحرفه

أهميه البحث:

1- إشتهرت محافظة القاهرة بإنتاج روائع من منتجات النحاس المميزه ذات الطابع التراثي الأصيل.

- الطرق على النحاس هي حرفه تراثيه لعبت منتجاتها دور هام في حياه الناس علي مر العصور وهى مهددة بالإندثار ويجب إنقاذها والمحافظة عليها.

2- مرت حرفة أشغال النحاس بتغيرات عديدة في الوظيفة والشكل وإرتبطت بتغير ظروف المجتمع.

أهداف البحث:

1- دراسه التغير الذي طرأ علي المشغولات النحاسيه و إلقاء الضوء علي البعد التاريخي لها في منقطة البحث.

2- التعرف على أهم المشاكل والمعوقات المؤثرة على الحرفه والحرفيين وكيفية تطويرها والحفاظ عليها من الإندثار.

فروض البحث:

1- هل هناك تغيرات إرتبطت بالجانب الوظيفى والشكلى للمشغولات النحاسيه فى منطقة البحث؟

2- هل هناك عوامل أثرت وأدت للتغير فى المشغولات النحاسيه فى منطقة البحث؟

منهج البحث:

المنهج الوصفى التحليلى و المنهج التاريخى.

حدود البحث:

الحدود المكانيه: القاهره.

الحدود الزمانيه: دراسة التغير فى مشغولات النحاس فى محافظة القاهرة عبر العصور وحتى الآن.

منطقه البحث:

محافظة القاهره وبها العديد من أتيليهات وورش إنتاج المشغولات النحاسية.

الدراسات السابقه:

- أحمد حافظ حسن أحمد – الإستفاده بالقيم الفنيه والتقنيه للمشغولات المعدنيه المملوكيه بمصر في عمل مشغولات مبتكره – رساله مقدمه إستكمالا لمتطلبات الحصول علي درجه دكتوراه الفلسفه في التربيه الفنيه (تخصص أشغال معادن)- كليه التربيه الفنيه - جامعه حلوان – 1985. وتتكون الدراسه من خمس فصول وقد إستفات الباحثه من الفصل الثالث في التعرف علي توصيف وتحليل الزخارف علي بعض المشغولات النحاسيه الموجوده بمتحف الفن الإسلامي والتي كانت تستخدم في الحياه اليوميه في ذلك الوقت كالآباريق والصدريات والصواني وأعمده الطعام وطاسات الخضه والمشكاوات والمباخر وغيرها من منتجات كانت تستخدم في المساجد والأسبله والقصور والبيوت وسوف تقوم الباحثه بالإستفاده من هذا التحليل لدراسة التغير فى مشغولات النحاس قديما وحتي الآن

- عبد الرحمن عبد الحميد عبد الرحمن – الدلالات التعبيريه للمتغير الشكلي والتقني كمدخل تجريبي لإثراء مجال أشغال المعادن – إستكمالا لمتطلبات الحصول علي درجه دكتوراه فلسفه التربيه الفنيه – كليه التربيه النوعيه – جامعه القاهره – 2005م . تتكون الدراسه من ستة فصول وقد إستفادة الباحثه من الدراسه في الفصل الثانى في التعرف علي الدلالات التعبيريه في المشغولات

المعدنيه ومن الفصل الثالث فى التعرف علي مفهوم الشكل وخصائصه ودلالاته ومفهوم التقنيه والوظيفه في المشغولات المعدنيه وسوف تطبق الباحثه وتستفيد من ذلك فى تحليل الشكل والوظيفة ودلالاتها في المشغولات النحاسيه القديمه والحديثه.

- نهله عبد الله إمام – الواجب كما تعكسه عادات وتقاليد حى الجماليه دراسه فى فلكلور المدينه – رسالة دكتوراه فى الفنون الشعبيه – المعهد العالى للفنون الشعبيه – أكاديمية الفنون – 2005.

تتكون الدراسه من سبعة فصول وقد إستفادت الباحثه من الفصل الثالث فى التعرف على الخلفيه التاريخيه لحى الجماليه والسكان وتوزيعهم وخصائصهم وسوف يساعد هذا الباحثه فى دراسة وفهم العوامل المؤثره فى ثقافة الحرفيين فى مجتمع الدراسه ومنتجاتهم وتحليل العوامل المجتمعيه التى أثرت إيجابيا أو سلبيا وأدت إلى التغير فى مشغولات النحاس.

- محمد السيد كامل أحمد – الأشكال الهندسيه الأوليه والإفادة منها في إستحداث مشغولات معدنيه مجسمه بالشريحه لطلاب كليه التربيه النوعيه – إستكمال لمتطلبات الحصول علي درجه الماجستير التربيه الفنيه (أشغال معادن) – كليه التربيه النوعيه – جامعه القاهره - 2006.

وتتكون الدراسه من خمس فصول وقد إستفادت الباحثه من الفصل الثاني من الدراسه في التعرف على أنماط الأشكال الهندسيه في الزخارف وعناصر التصميم والأسس الجماليه في المشغولات المعدنيه في الفن المصري القديم والفن الإسلامي والفن الحديث وسوف تستفيد الباحثه من ذلك في التعرف علي مشغولات النحاس فى الفن المصرى القديم.

- محمد السيد كامل أحمد – النظام الحرفي لمختارات من المشغولات المعدنيه الشعبيه كمدخل لتحقيق جوده تعليم أشغال المعادن وتأهيل الطلاب المعلمين مهنيا – إستكمال لمتطلبات الحصول علي درجه دكتوراه الفلسفه في التربيه الفنيه تخصص (أشغال المعادن) كليه التربيه النوعيه – جامعه القاهره – 2011. تتكون الدراسه من ستة فصول وقد إستفادت الباحثه من الفصل الأول من الدراسه في التعرف علي التطور التاريخي للمشغولات النحاسيه منذ عصر الدوله القديمه وحتي الأن وسوف تتناول الباحثه ذلك تطبيقا علي مشغولات النحاس في القاهره.

- مصطفي حمدي عبد المجيد – رؤيه إبداعيه لتناول ناتج عمليات التشكيل ومدي الإفاده منها في مجال أشغال المعادن – إستكمالا لمتطلبات الحصول علي درجه دكتوراه الفلسفه في التربيه الفنيه (أشغال معادن)- كليه التربيه النوعيه – جامعه القاهره -2011م.

تتكون الدراسه من خمس فصول وقد إستفادت الباحثه من الفصل الثالث من الدراسه في التعرف علي الخصائص الفيزيائيه لمعدن النحاس والإمكانيات التي تتميز بها هذه الخامه في التشكيل ومدي قابليتها للزخرفه وتحليل فني لبعض المشغولات النحاسيه في العصر الحديث. وستقوم الباحثه بالإستفاده مما سبق لدراسه ورصد التغير في أنواع النحاس المستخدمه والتقنيات والزخارف المناسبه لكل نوع من النحاس حسب إمكانيات الخامه ومدي قابليتها للتشكيل والزخرفه فى منطقة البحث.

- محمد محمد العربى إبراهيم – الكتابات ذات الهيئه كمدخل لتصميمات مستحدثه فى بناء ومعالجة المشغولات المعدنيه - إستكمالا لمتطلبات الحصول علي درجه دكتوراه الفلسفه في التربيه الفنيه (أشغال معادن)- كليه التربيه النوعيه – جامعه القاهره -2011م.

تتكون الدراسه من خمس فصول وقد إستفادت الباحثه من الفصل الثانى من الدراسه في التعرف علي الملامح التاريخيه للكتابات العربيه وهيآتها وستقوم الباحثه بالإستفاده مما سبق لدراسه وتحليل أنواع الكتابات الزخرفيه المنفذه على المشغولات النحاسيه القديمه والحديثه فى منطقة البحث.

تعريف النحاس:

النحاس هو المادة الخام فى المشغولات النحاسية وحسب تعريف علماء الطبيعة :" النحاس عنصر فلزى رخو نسبيا قابل للسحب والطرق رمزة (نح) يتغير ببطئ فى الهواء ويقاوم فعل الأحماض المخففة ويوجد فى الطبيعة منفردا أو متحدا وينقى بالتحليل الكهربى"[1] ويُعد النحاس من أول المعادن التي إستخدمها الإنسان والذي تّم اكتشافه منذ القدم ، ويتواجد في الطبيعة إما منفرداً أو متحداً مع مادّة الأكاسيد. ولقد ذكر النحاس فى القرآن الكريم: قال اللة تعالى فى سورة الرحمن (يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ وَنُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ) آية (35).

ويعريف النحاس في معجم المعاني الجامع أنةعنصر فلزّي قابل للسحب والطَرق، موصِّل جيِّد للحرارة والكهرباء يُستعمل في العديد من الصناعات الكهربّية والحرارّية والنحاس أحمر / أصفر.

ويعرف النحاس فى معجم اللغة العربية المعاصر : أنة معدن أحمر اللون مائل إلى السمرة ، يتخذ في صناعة أشياء كثيرة كالأسلاك والأنابيب وأدوات المطبخ وغيرها. (نَحّاس) هواسمصَانعُ النحاس وبائعه. "كما أنة يتأثر بالعوامل الجوية مثل ثانى أكسيد الكربون وغيرة من الغازات الحامضية وتتكون علية طبقة من الأحماض التى تزيد من مناعتة ضد التأثيرات الجوية وإذا تم تسخين النحاس فإنة

[1]محمد شفيق غربال(1965):الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ،مؤسسة فرنكلين ، ص1826.

يتأكسد ولكنة إذا سخن وصل لدرجة الإحمرار ثم يترك ليبرد فى الماء يصير طريا قابلا للسحب والطرق والثنى بسهولة"[1].

وتذكر (عايدة خطاب) أن" النحاس يعتبر أحد المعادن اللينة القابلة للسحب والطرق والتلميع إضافة إلى إعطائة عدة ملامس وتأثيرات إبداعية عن طريق التفاعل مع أكسوجين الهواء فيما يسمى بعملية (الجنزرة) كما يدخل النحاس مع معادن آخرى لتكوين سبائك خاصة مثل إندماجة مع القصدير للحصول على سبيكة البرونز والتى تستخدم فى صناعة الحلى الشعبية إضافة إلى إمتزاجة مع معادن آخرى ،وقد أستخدم النحاس فى صناعة الحلى منذ قديم الزمان فى فترة البدارى ثم طوع فى عهود مصرية تالية ، ثم فى العصر الرومانى والقبطى، وأستخدم النحاس فى الحلى الشعبية حتى الآن إلا أن أكثرة يطلى بطبقة من الذهب لوقايتة وإعطائة المظهر الذهبى"[2]. وكان لمعدن النحاس أهمية كبيرة على مر العصور فهو المادة التى يصنع منها المشغولات النحاسية وأدوات الحياة اليومية وتذكر(منى كامل) عن معدن النحاس وإسهاماتة فى الثقافة المادية فى الحياة الشعبية " إن هذا المعدن الذى تكون بفعل العوامل الطبيعية والذى يتميز بليونتة وصلابتة معا وبقوة تماسكة وشدة نقاءة فضلا عن مقاومتة للزمن أسهم فى التراث الإنسانى بفنون المشغولات المعدنية التى كانت بمثابة التجليات المادية للثقافة الشعبية على مر العصور ولم تكن مصر إستثناء فى هذا لأن فنون المشغولات المعدنية والنحاسية منها خاصة لها مكانتها فى الثقافة الشعبية منذ أيام الفراعنة حتى أيامنا هذة"[3].

الملامح التاريخية للمشغولات النحاسية:

يرجع إستخدام الإنسان للمعادن إلى عصور موغلة فى القدم ، بل إن بعض عصور التاريخ الإنسانى قد نسبت إلى بعض المعادن وربما كان النحاس من أهم وأقدم المعادن التى إستخدمها البشر فى حياتهم اليومية حربا وسلما فى البيت وفى السوق ،فى العمل وفى المعبد ، فى العملة والأسلحة وأدوات الزينة وأدوات الطعام وأكواب الشراب، وفى لوازم الإضاءة والنوم والعبادة.... وما إلى ذلك"4. ولأن معدن النحاس وجد فى الطبيعة على عمق قريب من سطح الأرض فقد إكتشفة الإنسان القديم بسهولة "فقد إكتشف الإنسان المعادن فى فترة باكرة من تاريخة ويرجح العلماء أن النحاس أول المعادن التى عرفها الإنسان ، فهو معدن يسهل إكتشافة لأنة يوجد فى الطبيعة على شكل كتل غير

[1] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، مرجع سابق، ص90.
موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية (2004): عايدة خطاب ، المصاغ الشعبى،الجزء الأول، ط1،
[2] جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ،ص12
[3] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، المرجع السابق، ص89
[4] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، نفس المرجع السابق، ص89

منتظمة وبلورات النحاس مكعبة الشكل ،والنحاس معدن رخولا يحتاج إلى درجة حرارة عالية لصهرة وتشكيلة والنحاس النقى الخالى من الشوائب يكون أحمر اللون لينا بحيث يسهل طرقة "[1] . وهكذا ساهمت خصائص معدن النحاس فى سهولة تشكيلة وتحويلة لأدوات إستخدمها الإنسان فى حياتة اليومية "وكان أكثر الطرق شيوعا للحصول على النحاس من الخام هو صهر المعادن وهو أسلوب تم إبتكارة وتطويرة فى عصور ما قبل التاريخ"[2] .

وقد عرف المصرى القديم منذ القدم معدن النحاس و صنع منة العديد من الأدوات بشكل يدوى "إذ أن مقابرهم ضمت الكثير من الأدوات التى كان النحاس مادتها الخام وعلى الرغم من أن طرق النحاس وسحبة وتشكيلة كان يتم يدويا فإن ما تركة المصريون القدماء كان يحمل نقوشا مدهشة تدل على دقة الصنع"[3] . وهناك العيد من أدوات الحياة المصنوعة من معدن النحاس بدقة وإتقان وإبداع حرفى وجدت فى مقابر المصريين القدماء "ففى عصر الأسرات خاصة فى عهد الأسرة الرابعة إزدهرت صناعة المعادن، ومن أبرز نماذج هذا العصر الكنز الذى الذى عثر علية فى مقبرة الملكة (حتب حرس) والدة الملك خوفو حيث المحفة ذات الزخرف البسيط والخلاخيل وأدوات الغسيل والزينة المصنوعة من الذهب والنحاس ،على أن هذة الدقة والروعة الحرفية لم تكن قاصرة على أدوات الملوك والملكات بل إمتدت إلى الطبقة الوسطى بما يعطى دلالة على أنة قد ولد فى هذا العصر نظام حرفى بمعناة الإبداعى والإقتصادى والتجارى"[4] ويدل هذا على أن حرفة النحاس هى حرفة ذات جذور تاريخية مع المصرى القديم الذى طوع معدن النحاس وأبدع فى المشغولات النحاسية .و تم إستعماله في الأزاميل التي استخدمت لبناء أهرامات الجيزة في مصر. ولعب النحاس دوراً هاما في الزراعة أيضاً حيث أن جميع المجارف والمعاول المستخدمة لحصاد المحاصيل كانت مصنوعة من النحاس في ذلك الوقت. "وفى نهاية عصر ما قبل الأسرات أصبح فى متناول المصرى القديم أسلحة من النحاس ليدافع بها عن نفسة ولم ياتى عصر الأسرات الأولى حتى إستعمل المصرى رؤوس بلطة ضخمة ، قواديم و معاول وسكاكين وخناجر وحراب وحلى وأدوات منزلية كالطست والإبريق وكل هذة كانت من النحاس، وكان المصريون يستخرجون النحاس من مناجم شبة جزيرة سيناء والصحراء الشرقية ويكون دائما على سطح الأرض أو بالقرب من السطح"[5]. ولم تقتصر إستخدامات النحاس

---

[1] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية،المرجع سابق ص28.

[2] Geza Fehervari , Islamic Metal work of the Eighth to the Fifteenth Century in the Keir Collection ,Faber and Faber ,London ,1976 ,p21.

[3] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، ط1،مرجع سابق، ص29.

[4] موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية (2004): عايدة خطاب ،المصاغ الشعبى الجزء الأول، ط1، جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ص11.

[5] سليم حسن (2000): مصر القديمة – فى مدينة مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الأهاناسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب , ج2، ص(181-187).

على السلاح حيث تم استخدامه أيضاً في العمليات الجراحية من قبل المصريين في طرق متعددة. بالاضافة إلى أن جميع أدوات صنع الطعام وحفظه في العصر القديم كانت مصنوعة من النحاس وذلك لأنه من المعادن التي تحد من إنتشار الأمراض. وتشهد المشغولات التى وجدت فى مقبرة الملك توت عنخ آمون على إبداع الصانع المصرى القديم "وقدإستمرت صناعات الأوانى النحاسية على مر العصور دونما تغيير كبير سواء فى وسائل الصناعة أو فى الأساليب الفنية للتشكيل والزخرفة"[1] و"فى عصر البطالمة إستخدم الحرفيون المصريون النحاس سواء كان خالصا أو مسبوكا مع معادن آخرى، وإستمرت تقاليد الحرفة دونما تاثيرات جذرية ذلك لأن البطالمة عاشوا حياة مغلقة بعيدا عن المصريين فلم يتركوا تأثيرا يذكر على الثقافة المصرية والذوق المصرى فى تشغيل المعادن"[2]

وفى العصر الرومانى "تحولت مصر إلى ولاية رومانية ولكن الحرفيون ومن بينهم النحاسون هم أبعد الناس عن تأثير الرومان، وفى تلك الأثناء كانت مصر تحولت إلى المسيحية ودخلت عناصر ثقافية جديدة إرتبطت بوعى الشعب المصرى فقد تسربت الموضوعات و الأشكال المسيحية إلى الفن المصرى ولم يكن تشكيل المعادن ومن بينها النحاس إستثناء لذلك ، وأستخدم النحاس فى صناعة الأوانى المستعملة فى الكنائس، وأدى إنتشار الأيقونات إلى تطوير فنون طرق النحاس ودخول عناصر وموضوعات مختلفة فى تشكيلة إذ أن ما يعرف (بالذخائرالمقدسة) وهى الأشياء الخاصة بالقديسين ومقتنياتهم كانت توضع فى إطار من النحاس المطروق المفرغ "3. وتوسع الفنان المصرى فى صناعة المزيد من الأدوات من معدن النحاس فأستخدم النحاس لصناعة الصناديق والقناديل والمباخروأطباق القربان المقدس و وكئوس المناولة فى الشعائر المسيحية وغيرها .و"قد تميزت كل الآثار التى بقيت من ذلك العصر بالزخرفة الجميلة المتقنة التى تصاهر فيها الفن الكلاسيكى السابق مع فن صياغة الحلى والمجوهرات "[4] .

يعد العصر الإسلامى من أزهى عصور إنتاج المشغولات النحاسية فى مصر فقد برع الفنان المسلم فى إنتاج المشغولات النحاسية وخاصة فى عصر المماليك (1250 إلى 1517)، حيث اشتهر الإقبال على تزيين المباني، كالمساجد والمدارس والبيوت والقصور وغيرها من المنشآت، وأقبل الناس على إقتناء الأشياء المزينة بالنقوش؛ فأدى ذلك إلى إزدهارحرفة النقش على النحاس. و فى المراحل الأولى من تاريخ هذة الصناعات كان تأثير الموروث القديم كبيرا ولم يلبث الصناع المسلمون أن طوروا أساليب فنية راقية خاصة بهم ذات طابع إسلامى خاص "فقد شاعت فكرة كراهية تصوير

[1] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، مرجع سابق ، ص31.
[2] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، المرجع السابق، ص31.
[3] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية المرجع السابق ، ص(32-31)
[4] ثروت عكاشة (1994): الفن البيزنطى، موسوعة تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى ،دار سعاد الصباح ، ج11،ص(90-92)

الكائنات ولكن الفنان المسلم إتجة للتعبير عن المعانى الكلية من خلال تجريد الأشكال الظاهرية إلى قيم تعبيرية وزخرفية ولاسيما فى تلك التصاوير التى تركها الفنان المسلم على الأوانى النحاسية التى وصلتنا"[1] .

وظلت فى العصر الحديث حرفة صناعة النحاس وزخرفتة تتوارث عبر الأجيال فى الورش بحي النحاسين وربع السلحدار والجمالية وسط القاهرة واشتهرت بتصنيعها لأروع المشغولات النحاسية التى كان لها دور كبير فى الحياة الشعبية فقد كانت للنحاس أهمية كبيرة في حياة المصريين، وصنعت منة الأوانى والصوانى وطشت الغسيل وبراد الشاي والهون و موقد الكيروسين و (الطنجرة) وهو إناء كبير الحجم بغطاء شبيه بقبة المسجد يستعمل في المناسبات والأفراح ويوضع فيه الطعام وغيرها من أدوات الحياة اليومية التى إستخدمت فى الحياة الشعبية. ومازالت بعض تلك الورش باقية إلى اليوم.

العادات والتقاليد المرتبطة بالنحاس:

- إحتفالية سبوع المولود ودق الهون بالقرب من أذنه بعد 7 أيام من ولادته هى إحدى العادات المتوارثة من قدماء المصريين وحتى الآن ، حيث إن الأصل التاريخى للاحتفال فى اليوم السابع للطفل، إلى إعتقاد المصريين القدماء بأن حاسة السمع تبدأ عند الطفل فى سابع يوم لولادته وتقوم جدة الطفل بـ"دق الهون"، وهو عبارة عن إناء من النحاس تطحن فيه الحبوب ويتسبب دقه فى ضجيج بجوار أذن المولود، حيث يقومون بعمل الأصوات العالية بجوار أذنيه ثم يدعون لة.
- ومن اشهر الأنية التي ترتبط بالعادات والمعتقدات الشعبية طاسه الخضة وهي طاسه من النحاس وينقش بداخلها اية الكرسي ويوضع بداخلها التمر والماء والسكر ثم يشربها الطفل الصغير بعد وقوعه علي الارض لمنع الخضة والفزع وابعاد الشياطين.
- إرتبط النحاس قديما بعادات الزواج فى المجتمع المصرى فكان جهاز العروسة يضم الآنية النحاسية و(بابورين جاز) من النحاس و كلما زاد ثراء العروسة زاد عدد البوابير والأوانى النحاسية. وكان يطلق عليه "باجور" حيث تستخدمه العروسة فى الطبخ او تسخين المياه.
- ومن الطرائف المرتبطة بالمعتقدات الشعبية أن تعتقد الجدات والامهات قديما أنه عندما تقوم العروسة بلعق الكبشة"المغرفة" او الحلة النحاسية سوف يكون يوم زفافها ممطر.

أنواع النحاس:

ويذكر الحرفى (سميح عبد الفتاح)أن النحاس المستخدم فى هذة الحرفة ليس نوعاً واحداً، فهناك النحاس الأصفر والأبيض والأحمر، إلا أنه لم يعد هناك إلا نوعان فقط هما الأصفر والأحمر، ويكثر

[1] أبو صالح الألفى ،الموجز فى تاريخ الفن العام ، ص (145-148)

العمل بهما الآن، لكن النحاس الأحمر يعد هو الأغلى لنقائه بعيداً عن الشوائب والسهولة الحفر عليه بدقة لأنه لين ، ويفضل النحاس الخالى من الشوائب خاصة أن بعض الناس يجمعون النحاس القديم ويعيدون تصنيعه عن طريق تسخينه وصهره، إلا أنه يكون مليئاً بالشوائب، أما النحاس الأحمر فهو مستخلص من باطن الأرض، وتتم «درفلته» وفرده عكس النحاس الأصفر، ولذلك فأسعار النحاس تتزايد كثيراً، فقد إرتفع سعره إلى أن وصل اليوم إلى حوالى (180 جنية) للنحاس الأحمر و(160 جنية للنحاس الأصفر) ، ولذلك كل قطعة تختلف عن الأخري في تكلفتها وسعر بيعها.

خواص ومميزات أنواع النحاس:

كل مادة لها طبيعة خاصة وإبداع خاص بها، فالفنان يحترم قواعد المادة و يدرسها دراسة تمكنة من إكتشاف قدرتها على التشكيل."فالفنان هو الشخص الوحيد الذى يتميز بالحساسية نحو الوسيط الذى يخلق فية العمل الفنى ويتآلف مع هذا الوسيط"[1] و"النحاس الأحمر فى حالتة الخام ذو لون أحمر وردى ولعل هذا هو السبب فى تسميتة النحاس الأحمر ويستخدم فى صناعة الكثير من الأوانى النحاسية بسبب سهولة طرقة وسحبة وثنية "[2].

"النحاس الأصفر هو سبيكة تجمع بين النحاس الخام والزنك وقد تضاف إلية نسبة قليلة من القصدير وتختلف نسبة النحاس فية من 10% إلى 80% ولم يعرف النحاس الأصفر سوى فى فترة متأخرة من تاريخ المعادن وهذا النحاس أصفر اللون وسبائكة قابلة للسحب والطرق والكبس"[3]

"النحاس الأبيض سبيكة مركبة من النيكل بنسبة تتراوح ما بين14%إلى 30% ومن النحاس بنسبة ما بين 40% إلى 60% ومن الزنك بنسبة تتراوح ما بين 32% إلى 26% يدخل فيها معدن الحديد ويستخدم النحاس الأبيض فيما يعرف بإسم سبيكة النحاس"[4].

مراحل زخرفة المشغولات النحاسية:

- إختيار قطعة النحاس التي يراد صنعها وتشكيلها ثم بتقسيط قطعة النحاس، بمعنى مساواة جميع أجزائها بالمطرقة والسندان، ثم يتم مسحها وتطويقها جيداً

---

[1] جيروم ستولونيتز (1981): النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية ، ترجمة فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص148.

[2] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، مرجع سابق ، ص(90-91)

[3] ناصف عبد السلام إبراهيم ، أصول التشكيل المعدنى ،رسالة ماجستير ،ص32.

[4] منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، مرجع سابق ، ص93

- يقوم الفنان (الرسام) بالرسم عليها بواسطة قلم رصاص، و ليس من الضروري الإستعانة بخطاط لرسم النقوش والكتابات فبعض الحرفيين يجيدون رسم التصميمات ونقشها على قطعة النحاس.

- المرحلة التالية يستخدم قلم النقش للحفر بالدق علية بالشاكوش وتستخدم الأقلام مثل (الزنبة) لعمل النقاط فى الرسم على قطعة النحاس وأقلام (الجوهارسة) التى تقوم بعمل دوائر صغيرة فوق قطع النحاس وأقلام الترمبل التى يتم بها الترميل وأقلام المقطع التى يتم بها التفريغ كما فى صورة رقم (1) و(2)

- تتم عملية زخرفة قطعة النحاس بالنقش أو الحفر أوبطريقة التطعيم بالفضة وهى تتطلب مهارة وخبرة من الحرفيين.

صوره رقم (1) الحرفى يقوم بزخرفة صنية نحاس يدويا مستخدما الشاكوش والقلم المدبب فى إحدى ورش مشغولات النحاس بمنطقة الجمالية

صوره رقم (2) صنية نحاس فى مرحلة الزخرفة عليها رسوم فرعونية القطر حوالى 50 سم توجد فى إحدى ورش أشغال النحاس بحى الجمالية

مراحل إنتاج صينية من النحاس المطعم بالفضة:

- يبدأ الفنان الحرفى بتحديد شكل الإناء المطلوب صنعه في رسم النقوش بأقلام النقش الفولاذية عبر المطرقة والسندان، ثم تمسح القطعة جيدا حتى تعود إلى أصلها الطبيعي

- ثم يتم عزل القطعة التي يراد الحفر عليها بمادة شمعية لا تتأثر بالأحماض.

- ثم يقوم الصانع بالرسم بواسطة قلم حاد على هذه المادة ويتم تحديد الشكل المطلوب ما يسمح بوصول الحمض إلى جسم المعدن فوق الخدش أو الرسم،

- ثم يقوم الحرفى بتغطيس الآنية بحمض الآزوت الممدد وتركه لفترة حتى يأخذ الشق حجمه المطلوب.

- ثم إخراج القطعة من الحمض وغسلها وتنشيفها يتم تركيب خيوط الفضة في هذه الشقوق بالطرق الخفيف إلى أن يأخذ مكانه الصحيح وتسمى هذه الطريقة التطعيم بالفضة كما فى شكل رقم(3)

العدد والأدوات المستخدمة فى حرفة الطرق على النحاس:

أدوات يدوية تقليدية مثل : منضدة خشبية ومطارق حديدية خفيفة وأقلام حفر فولاذية والمبرد والأزاميل المتنوعة الحجم والأدوات الهندسية المعروفة كالمثلث والبرجل والمنقلة والتي تساعده على رسم الأشكال المختلفة بدقة لاسيما المرتبط منها بالفن الإسلامي والمقص والملقاط والسندان والكور والأحماض و تستخدم في التلوين.

صورة رقم(3) التطعيم بالفضة على طبق من النحاس

حرفة النحاس بين الماضى والحاضر والتغيرات التى طرأت عليها:

"ترتبط كلمة حرفة غالبا باليد كأبرز أعضاء الجسم الإنسانى التى تترجم النوازع والرغبات البشرية إلى مظاهر فنية مادية ملموسة"[1] وقد قامت حرفة النحاس فى حى النحاسين بالجمالية منذ العصر الإسلامى وترجع تسمية (حي النحاسين) بالقاهرة بهذا الإسم أن تجار النحاس منذ العصر الفاطمي كانوا يتمركزون فيه لبيع وتصنيع أواني المطبخ والنجف وقدر الفول وصواني الطعام وأباريق المياه

[1] موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية (2004): عايدة خطاب ، المصاغ الشعبى،الجزء الأول، ط1، جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة ،ص1.

والمباخر والمسارج ومستلزمات المقاهي، والكثير من قطع الديكور المتنوعة ذات الإستخدامات المتعددة في القصور والبيوت ودور العبادة. فقديما كانت الفتاة تحرص على أن يكون أغلب أواني المطبخ ولحتياجات المنزل من النحاس ، لكي تتباهى به أمام أهل الزوج فالنحاس كان من الأشياء القيمة فى المنزل المصرى. وكانت تحرص من فترة إلى أخرى على إحضار هذه الأواني إلى مبّيض النحاس لكي يعيد طلائها من الداخل وتلميعها من الخارج، فتعود إلى حالتها الأولى. لكن كل هذا اختفى ولم تعد مهنة مبّيض النحاس لها أهمية بعدما تغيرت ظروف المجتمع المصرى وفقدت منتجات النحاس وظيفتها النفعية واتجة الناس لشراء الأوانى الألمنيوم تماشيا مع نمط الحياة الجديد فى المجتمع . وأصبح الناس يعتبرون المنتجات النحاسية لا تعدو كونها قطعا فنية كديكور للزينة فى المنازل ويحاول الحرفيين إنتاج قطع نحاسية متطورة لتواكب تغيرات المجتمع وتتناسب مع إحتياجاتة، فالمنتجات النحاسية تضيف على الأماكن فخامة وأناقة بيوت الأجداد، هذا بالإضافة إلى أنها من المنتجات المفضلة لدى السياح الذين يحرصون على إقتنائها.. فهي سمة مميزة لفنون التراث المصرى .

ومن خلال الدراسة الميدانية أمكن التعرف على بعض التغيرات التى طرأت على حرفة النحاس فى منطقة الجمالية:

-التغير في طريقة عمل المشغولات النحاسية:

- كان طرق النحاس لعمل ريبوسية (دق عالى ومنخفض)على جزء من التصميم يتم بوضع كيس من الرمل أسفل القطعة النحاسية أما الآن يستخدم الرصاص بدل الرمل ويصب ساخن على قطعة النحاس لجعلها تقبل الطرق بسهولة .

- حديثا تستخدم تقنية الثقب و التفريغ فى المشغولات النحاسية أما قديما لم يكن التفريغ مستخدم بشكل كبير.

- تطور وتغير في الألوان والطلاءات بالذهب والفضة وتزايد الآن الحفر الكيميائي بالماكينات.

2-التغير الوظيفي والشكلي في المنتجات النحاسية:

عندما حدثت تغيرات فى المجتمع وفقدت الأوانى النحاسية وظيفتها وأهميتها كمنتجات أساسية فى كل منزل وتحولت المنتجات النحاسية إلى قطع ديكور يقتنيها محبى التراث والتحف القديمة. ومازالت بعض الناس تفضل إستخدام الأوانى النحاسية رغم إرتفاع أسعارها نسبيا، وطور الحرفيين فى أشكال وتصميمات المنتجات النحاسية بما يتماشى مع إحتياجات المجتمع فأنتجوا حافظة المصاحف والآيات واللوح القرآنية وأطباق مزخرفة بآيات قرآنية إصيص نباتات الزينة (كاشبو) المصنوع من النحاس الاحمر و اللوحات الزخرفية النحاسية و الأطباق المزخرفة بزخارف وآيات قرآنية، وطبق مار جرجس . وتوجد منتجات خاصة بالمناسبات الإجتماعية والدينية و أشكال مبتكرة

للمباخر والصناديق وعلب الحلوى والأطباق التي ينقش عليها رموز ومشاهد من الفن المصرى القديم. وأستخدم النحاس فى الديكور كقطع مكملة فى الأبواب والسرائر وأدوات المائدة ووحدات الإضاءة والمباخر وغيرها من منتجات النحاس التى تلبى زوق وإحتياجات وظروف المجتمع الآن.

المشاكل التي تواجه أصحاب مهنة النقش على النحاس بمنطقة الجمالية:

- تزايد أسعار النحاس والمواد الخام التى تستخدم فى صناعة المشغولات النحاسية مما يؤدى لرفع سعر المنتج .
- تسرب الكثير من العاملين فى هذة الحرفة نتيجة قلة العائد المادى منها وأدى ذلك أيضا لتغيير بعض الورش لنشاطها لتعمل فى مجالات آخرى.

- الإستيراد من الصين للمنتجات النحاسية قليلة السعر ومع أنها ليست ذات جودة عالية فالألوان تمحى بعد فترة والزخارف ليست متقنة ولكن مع ذلك يقبل الناس على شرائها لقلة سعرها مقارنة بالمنتجات النحاسية المصرية ذات الجودة العالية ولكن السعر مرتفع نتيجة زيادة التكلف.
- بعض المصانع والورش أصبحت تعتمد على الحفر الكيمائى للنحاس مما أضعف من حرفة النقش على النحاس اليدوية ودفع أصحاب الورش اليدوية إلى مزاولة حرف أخرى .

- عدم وجود دعاية إعلانية عن منتج التراث الشعبى المصرى ومميزات المشغولات النحاسية المزخرفة يدويا التى تنتج فى القاهرة وعدم وجود دعاية وإعلانات كافية عنها فى وسائل الإعلام لتعريف الناس بها وبأماكن إنتاجها وتسويقها.

- عدم وجود مدارس متخصصة لتعليم فنون التراث المصرى للراغبين فى تعلمها من الأطفال لإعداد جيل جديد من الحرفيين المهرة اللذين تلقوا تعليم فنى متخصص ليصبحوا منتجين لفنون التراث المصرى ومنها فن الطرق على النحاس وليقوموا بدور فى المحافظة على فنون التراث من الإندثار وتطويرها كمنتج يمكن أن يكون من أهم من مصادر الدخل القومى.

- تثقل الدولة على ورش النحاس بالضرائب التى لا يستطيع كثير منهم دفعها لقلة الدخل من حرفة الطرق على النحاس مما يترتب علية ضغوط نفسية ومالية على الحرفيين.

- فقدت المنتجات النحاسية وظيفتها فى حياة الناس بعد ظهور الأوانى الألمونيوم وغيرها من المعادن الآخرى وتحولت الأوانى النحاسية من منتج نفعى جمالى إلى منتج جمالى للزينة مما أدى لقلة الإقبال على الشراء فى السوق المحلى وكذلك قلة السياح المتوافدين على حى الجمالية .

توصيات لتطوير حرفة الطرق على النحاس:

وقدّرت منظمة اليونسكو أهمية تلك الحرفة فإعتبرتها تراثا إنسانيا يجب الحفاظ عليه ودعت الحكومة المصرية إلى تقديم يد العون للصناع وتيسير تصدير منتجاتهم إلى الأسواق العالمية لتشجيعهم على الإستمرار في مزاولتها. وهناك مقترحات لتمية الحرفة والحفاظ عليها من الإندثار.

- ضرورة أن توفر الحكومة المصرية معارض وأسواق للمشغولات النحاسية التراثية ، وفتح الأماكن الأثرية لعرض هذه المنتجات، إضافة إلى إقامة أسواق خارجية لتسويق تلك المنتجات التي تمثل أصالة الفن والتراث المصرى.

- يجب على الدولة توفير المواد الخام وتوصيلها إلي الحرفيين دون جشع التجار و إستغلال رجال الأعمال أو إنشاء جمعية تتولى ذلك.

- إنشاء مدارس يلحق بها ورش لتعليم فنون التراث المصرى و عمل تدريبات للراغبين في تعلم هذه الحرفة وأن تتحقق دراسة المناهج تنمية للإبتكار والإبداع لتطوير المشغولات النحاسية بما يتلاءم مع ظروف واحتياجات المجتمع .

- الإستفادة من الفنانين الأكاديميين لتحديث التصميمات ونقل الخبرات للحرفيين أصحاب المهارة و الخبرة التقنية فى الحرفة مما يؤدى لتطوير المنتج النحاسى.

- نشر الوعى بين الناس عن طريق وسائل الإعلام بأهمية وقيمة فنون التراث المصرى ومناطق إنتاجها وبيعها لخلق سوق محلى لمنتجات النحاس التى تحمل ملامح التراث المصرى وأصالتة.

- أن تتضمن مناهج التربية الفنية دراسة لفنون التراث المصرى لننمى عند الأطفال تقدير وتذوق فنون التراث المصرى ووعى بأهمية وقيمة العمل اليدوى.

- يجب أن تدعم الدولة الحرفيين العاملين فى مجال إنتاج المشغولات النحاسية بتوفير إعانات وقروض ميسرة لهم تعينهم على مواجهة المشاكل والمعيقات التى يتعرضون لها للإستمرار فى الحرفة وتطويرها.

- دعم المشروعات الصغيرة وتوفير الإستشارات الفنية المطلوبة لتنفيذها مما يساعد فى دعم الإقتصاد الوطنى.

نماذج من منتجات النحاس

صوره رقم (4) إبريق من النحاس الأصفر المطعم بالفضة والنحاس الأحمر، بزخارف مطروقة من نقوش مكتوبة بالخط النسخ تسجل اسم الأمير طبطق. ويتكون من جسم كروي يستطيل نحو القاعدة القطر حوالى 15سم والإتفاع حوالى 40سم يوجد فى المتحف الإسلامى بالقاهره.

صورة رقم (6) هون من النحاس الأصفر كان يستخدم فى طحن الحبوب

صورة رقم (7) (وابور الجاز) من النحاس كان يستخدم قديما لطهى الطعام

صورة رقم(8) أباريق نحاس قديمة بإحدى المحلات بخان الخليلي

صورة رقم (9) صينية قديمة من النحاس مزخرفة بنجمة ثمانية

صور نماذج من منتجات النحاس المنتجة حديثا

صورة رقم(10) لوحة من النحاس مزخرفة بزخارف كتابية

صورة رقم(11) وحدة إضاءة (أباجورة) منفذة من النحاس الأصفر المفرغ

صورة رقم(12) طقم أنية من النحاس الأصفر المطعم بالفضة

صورة رقم(13) لوحة "عروسة المولد" من النحاس من أعمال الفنان الأكاديمى جمال السجينى التى كان يرمز بها لمصر معرض"مئوية السجيني"

المراجع

المراجع العربية:

- أبو صالح الألفى (1973): الموجز فى تاريخ الفن العام ، دار نهضة مصرللطباعة والنشر والتوزيع.
- سليم حسن (2000): مصر القديمة – فى مدينة مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الأهاناسى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب , ج2.
- محمد شفيق غربال(1965):الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ،مؤسسة فرنكلين.
- منى كامل العسوى (2008): المشغولات المعدنية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية.

المراجع المترجمة:

جيروم ستولونيتز (1981): النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية ، ترجمة فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص148.[1]

المراجع الأجنبية:

[1] Geza Fehervari , Islamic Metal work of the Eighth to the Fifteenth Century in the Keir Collection ,Faber and Faber ,London ,1976

الموسوعات:

- ثروت عكاشة (1994): الفن البيزنطى، موسوعة تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى ،دار سعاد الصباح ، ج11.
- موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التاريخية (2004): عايدة خطاب ، المصاغ الشعبى،الجزء الأول، ط1، جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة.